اجتهادات
جيفارا مات أخيرا

جيفارا مات .. جيفارا مات/ آخر خبر فى الراديوهات). بهذه الكلمات بدأ الشاعر الراحل أحمد فؤاد نجم أغنية وداع شى جيفارا، التى لحنها وغناها الفنان الراحل الشيخ إمام عيسى، عقب مقتله فى مثل هذا اليوم منذ 50 عاماً. ولكن موت جيفارا لم يمنع بقاءه رمزاً عاش فى أفئدة من رأوه مثالاً للإنسان الذى يضحى بحياته من أجل المعذبين والتعساء. غير أن هذا الاحتفاء أخذ يتراجع مع الوقت، بحيث قد يجوز القول إنه مات أخيراً. وها هى ذكراه الخمسون تحل دون أن يُذكر إلا فيما قل أو ندر. شارك جيفارا، مع رفيق دربه فيدل كاسترو، فى قيادة الثورة الكوبية إلى أن انتصرت عام 1959. حلم ببناء مجتمع اشتراكى عادل فى كوبا. ولكنه سرعان ما تصور أن تربص الولايات المتحدة (الإمبريالية الأمريكية كما رآها) بكوبا هو المشكلة، فآمن بفكرة الثورة العالمية وعدم إمكان بناء الإشتراكية فى بلد واحد، والتى تعود أصولها إلى ليون تروتسكى حين اختلف مع فلاديمير لينين عقب الثورة البلشيفية التى تحل ذكراها المئوية الأولى فى الشهر الحالى أيضاً.

ولذلك ترك جيفارا منصب وزير الصناعة وغادر كوبا عام 1965، ليواصل النضال فى بلدان أخرى بأمريكا اللاتينية، إلى أن ألقى القبض عليه فى بوليفيا وأُعدم فى الميدان.

وقع خبر مقتل جيفارا صاعقاً على من رأوا فيه مثالاً للنضال الثورى. وكان أثره شديداً فى بعض العرب الغارقين وقتها فى أحزان هزيمة 1967. وربما تفسر صدمة مقتله بأيد أمريكية أسهمت فى النتيجة التى انتهت إليها حرب 1967 قسوة الراحل الفاجومى فى نقد يساريين مصريين وعرب من خلال مقارنة ربما لم تكن فى محلها، ولكنها عبرت عن حجم تلك الصدمة وهول الحزن على رجل كانت مصر إحدى دول قليلة للغاية زارها، حين جاء للإطلاع على تجربة الإصلاح الزراعى، واستقبله عبد الناصر فى قصر القبة. وفى كل الأحوال، كانت المقارنة قاسية وربما ظالمة: (مات الجدع فوق مدفعه جوة الغابات/ جسَّد نضاله بمصرعه ومن سُكات/ لا طبالين يفرقعوا ولا إعلانات/ ما رأيكم دام عزكم يا أنتيكات/ يا غرقانين فى المأكولات والملبوسات/ يا محفلطين يا ملمعين يا جمسينات)!.